بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الطبرى.....ومنهجه فى التفسير

إعداد

دكتور / محمد محمد أحمد الشنوانى

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر - فرع الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أحمده سبحانه على كل نعمة تفضل بها علينا .. وأصلى وأسلم على سيدنا «محمد» النعمة المسداه والسراج المنير الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وخاتماً للأنبياء والمرسلين فقام برسالته خير قيام فأداها بأمانة وبلغها فى وضوح ونصرها بالنفس والنفيس فأثمرت ثمارها وأتت أكلها كل حين بإذن ربها فأ خرجت رجالا عمروا الحياة بأخلاقهم ومعرفتهم لربهم ونصرتهم لدينهم حتى كانوا مثلا عليا يقتدى بهم فى كل خير واستحقوا ثناء الله عليهم فقال تعالى فيهم :

﴿أولئك على هدى من ربهم وأ ولئك هم أولوا الألباب﴾[1]

وبعد

فإن الشخصية الفذة والرجولة الكاملة والعلم المتبحر والإخلاص والتجرد لله عز وجل صفات قلة من الناس قليلة كان منها الإمام «محمد بن جرير الطبرى» فلا غرو أن تكثر فيه المؤلفات وتتعدد فيه الآراء وتختلف حوله الأهواء والإتجاهات ونحن مع إعترافنا بقلة البضاعة وحداثتنا فى هذه الصناعة نسهم بجهد متواضع فى التعريف بالإمام «محمد بن جرير» وبيان «منهجه في تفسيره» المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن .

نقدم هذه الموسوعة الفكرية الفياضة والشخصية العلمية ذات الجوانب المتعددة التى ملأت سمع الدنيا وبصرها بعميق بحوثها ودوى ألمعيتها إلى الدارسين والباحثين .

عسى أن تفتح به قلوب . وتبصر به عيون . ويهتدى به ناس أعمى قلوبهم التعصب والجمود ...

فنقول وبالله التوفيق

---

(١) الآية (١٨) من سورة الزمر.

التعريف به ...

نسبه ... هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى.

كنيته ... أما الكنية التى عرف بها الإمام (الطبرى) وأجمع عليها المترجمون فهى (أبو جعفر).

شهرته ... أما عن شهرته فهو (شيخ المفسرين).

مولده ... ومكان مولده ...

ولد الإمام الطبرى بـ «أمل» [1] حاضرة أقليم طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين من هجرة الرسول - ﷺ - لسنة تسع وثلاثين وثمانمائة ميلادية.

(٢٢٤هـ - ٨٣٩م) - وقد أجمع كتاب سيرة الإمام الطبرى على هذا التاريخ [2]

---

(١) وأمل بالمد وضم الميم اسم موضعين أحدهما فى طبرستان وأكثر المنسوبين اليه يعرف بالطبرى والمكان الثانى على طرف جيحون ويقول له الناس أمورية.

وأمل المفازة وينسب إلى أمل يقال الأملى.

قال السمعانى .. أكثر علماء طبرستان من أهلها. واشتهر بالنسبة إلى آمل جيحون وخطئ أبو على الغسانى ثم القاضى عياض. فى قولهما أنه إلى آمل طبرستان.

= تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى.. للإمام جلال الدين السيوطى جـ ٢ ص ٣٢٧ - ٣٢٨. ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) راجع ترجمته فى المصادر التالية :

١- البداية والنهاية .. لابن كثير جـ ١١ ص ١٤٥ ط السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ.

٢- تاريخ بغداد .. للخطيب البغدادى جـ ٢ ص ١٦٢ ط- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣- تذكرة الحفاظ .. للذهبى جـ ٢ ص ٧١٠ ط دار الفكر العربى. =

أقوال العلماء فيه ...

اعترف العلماء قديماً وحديثاً بمكانته العلمية وفضله على علماء عصره..

قال عنه الخطيب البغدادى رحمه الله ...

أحد الأئمة العلماء . يُحكم بقوله ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. وكان حافظاً لكتاب الله. عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً فى أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها. وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الأحكام ومسائل الحلال والحرام. عارفاً بأيام الناس وأخبارهم [1]

وقال عنه ابن خزيمة رحمه الله ...

ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير [2] ... فابن خزيمة ما شهد

= ٤- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .. لإبن العماد جـ ٢ ص ٢٦٠ ط دار الفكر للطباعة والتوزيع بيروت.

٥- لسان الميزان .. لابن حجر جـ ٥ ص ١٠٠ - ١٠٢ ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٦- الإعلام .. للزركلى جـ ٦ ص ٦٩ ط دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

٧- طبقات المفسرين .. للسيوطى ص ٨٢ ط. دار الكتب العلمية .

٨- طبقات المفسرين .. للداودى جـ ٢ ص ١١١ - ١١٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٩- ميزان الإعتدال في نقد الرجال .. للذهبى جـ ٣ ص ٤٩٨ ط دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٠- تهذيب الأسماء واللغات .. للنووى جـ ١ ص ٧٩ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(١) راجع .. طبقات المفسرين .. للداودى جـ ٢ ص ١١٢.

(٢) راجع .. طبقات المفسرين ..للداودى جـ ٢ ص ١١٤.

وطبقات المفسرين .. للسيوطى ص ٩٥ .

هذه الشهادة إلا بعد أن أطلع على ما فى هذا التفسير من علم واسع غزير[1]

وقال عنه ابن خلكان رحمه الله ..

كان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً[2].

وقال عنه أبو محمد الفرغانى رحمه الله ..

كان ابن جرير ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد .. فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه وزهده فى الدنيا ورفضه لها .. وقناعته باليسير وعرض عليه القضاء فأبى [3]

وقال عنه الذهبى رحمه الله ..

كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً فى التفسير إماماً فى الفقه والإجماع والإختلاف علامة فى التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك[4]

وقال عنه الأستاذ الدكتور .. محمد أبو شهبة رحمه الله..

كانت حياة ابن جرير مثلاً عالياً للتفانى فى العلم والعمل الدائب على

---

(١) راجع .. التفسير والمفسرون .. لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ٢٠٨ ط دار الكتب الحديثة.

(٢) راجع .. وفيات الأعيان وأنباء الزمان .. لابن خلكان جـ ٢ ص ١٩١ ط دار صادر.

(٣) راجع .. نشأة التفسير ومناهجه فى ضوء المذاهب الاسلامية .. لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود بسيونى قوده ص ١١٣ ط الأمانة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

(٤) راجع .. مناهج المحدثين .. لفضيلة الأستاذ الدكتور . أحمد ناجى جـ٢ ص٣٢٢ - ٣٢٣ ط. بدون

البـحث والتـأليف ومـاظنك برجل مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة[١]

- ويعقب فضيلة الأستاذ الدكتور .. محمود بسيونى فوده .. على بعض هذه الأقوال قائلاً ..

هذه بعض الأقوال التى قالها العلماء فيه .. وبالجملة فمكانته العلمية لا يستطيع أحد أن يجحدها فهى كالشمس فى رائعة النهار [٢]

مذهبه ...

يقال .. أن ابن جرير رحمه الله. كان له مذهب وله اتباع ينتحلون مذهبه يقال لهم « الجريرية » وكتابه « لطيف القول فى أحكام شرائع الاسلام » هو من الكتب التى جمعت مذهبه الذى اختاره .. وكان قبل ذلك شافعياً. قال الإمام السيوطى رحمه الله وكان أولاً شافعياً. ثم انفرد بمذهب مستقل. وأقاويل واختيارات. وله اتباع ومقلدون. وله فى الأصول والفروع كتب كثيرة.[٣]

ونقل ابن خلكان.. أن الشيخ أبا اسحاق الشيرازى ذكره فى طبقات الفقهاء فى جملة المجتهدين قالوا. وله مذهب معروف وأصحاب ينتحلون مذهبه يقال لهم الجريرية. [٤]

---

(١) راجع .. نفس المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) راجع .. نشأة التفسير ومناهجه فى ضوء المذاهب الإسلامية ص ١١٤.

(٣) راجع .. طبقات المفسرين ... للسيوطى ص٩٦ .

(٤) راجع .. وفيات الأعيان .. لابن خلكان جـ ٢ ص ١٩١.

ولكن أين هذا المذهب الآن ..

يجيب عن هذا التساؤل :

١- فضيلة الأستاذ الدكتور .. محمد حسين الذهبى ... قائلاً

ولكن هذا المذهب الذى أسسه - على ما يظهر - بعد بحث طويل ووجد له اتباعاً من الناس لم يستطع البقاء الى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين.. (١)

٢- وفضيلة الأستاذ الدكتور .. محمود يسيونى فوده .. قائلاً

وهذا المذهب لا نجد له الآن أتباعاً كغيره من المذاهب الأخرى .. ولكن من يدرس كتابه « جامع البيان» يستطيع أن يصل إلى بعض سمات هذا المذهب. (٢)

٣- والمستشرق جولد تسيهر .. قائلاً

كما أن المذهب الذى أسسه على بحثه المستقبل لم يستطع الإحتفاظ بالبقاء (٣)

عقيدته ...

للإمام الطبرى .. كتاب فى عقيدة أهل السنة والجماعة اسماه (صريح

---

(١) راجع .. التفسير والمفسرون .. للأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ٢٠٦.

(٢) راجع .. نشأة التفسير ... للأستاذ الدكتور / محمود يسيونى فوده ص ١١٣.

(٣) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامى ... لجولد تسيهر ص ١٠٧ ط الخانجى مصر - ١٩٥٥م.

السنة) والذى أشار إليه شيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله فى مجموع الفتاوى. وأخذ من هذا الكتاب الحافظ (اللاكائى) فى مؤلفه المشهور. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [١] .. أما عقيدته فى التفسير فهو إمام متبع. نصر مذهب السلف واحتج له ودافع عنه ولكنه فى صفه الغضب والحياء ذكر أقوال المفسرين دون أن يُرجح شيئاً منها [٢]

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور .. أحمد الشرباصى رحمه الله ..

ولأهل السنة نقد لإبن جرير الطبرى فى بعض المسائل .. كما أن الحنابلة يلومونه على مواقفه فى بعض آخر . إذ كانت بعض أقواله يشمون منها رائحة المعتزلة وإن كان هو قد عارض المعتزلة فى كثير من المسائل ورد عليهم. [٣]

مؤلفاته ...

ترك .. الإمام الطبرى .. رحمه الله ..

نتاجاً عظيماً عرف به ونسب إليه . فطبقت شهرته الآفاق .. وتعتبر مؤلفاته ثروة هامة لا تقدر بثمن وما عرف منها وما ظهر إلى عالم الوجود يثرى المكتبة الإسلامية ويبين عن جوانب أخرى جديرة بالبحث والنظر وكان من أهم مصنفاته ..

---

(١) راجع .. من أعلام المفسرين .. للأستاذ الدكتور/ عثمان السيد عثمان .. مقال منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة . بطنطا ص ٤٣٩ العدد الثالث سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

(٢) راجع .. القول المختصر المبين فى مناهج المفسرين .. للشيخ محمد الحمود النجدى ص ١٠ ط الذهبى – الكويت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) راجع .. قصة التفسير .. للدكتور أحمد الشرباصى ص ٧٨ ط وزارة الثقافة والإرشاد سنة ١٩٦٢م.

كتاب فى (القراءات) .. وآخر فى (إختلاف العلماء) .. وثالث فى (تاريخ الرجال) .. ورابع فى (أحكام شرائع الإسلام) .. وخامس فى (أخبار الأمم والملوك) وهو من أهم مراجع التاريخ .. والسادس فى تفسير القرآن الكريم وهو المسمى (جامع البيان فى تفسير القرآن).. والسابع (تهذيب الآثار) .. والثامن (تفصيل الثابت عن رسول الله - ﷺ - من الأخبار) وهو الذى سماه القفطى (شرح الآثار) .. والتاسع كتاب (ذيل المذيل) [١]

والمطبوع حالياً .... تفسيره وتاريخه وشطر من اختلاف الفقهاء ومختارات من ذيل المذيل [٢]

وفاته ...

توفى رحمه الله .. فى عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلثمائة ودفن فى داره برحبة يعقوب - بغداد [٣]

---

(١) راجع .. جميع المصادر السابقة ..

(٢) راجع .. مناهج المفسرين .. لفضيلة الأستاذ الدكتور .. منيع عبد الحليم محمود ص ٤١ ط دار الكتاب (المصرى القاهرة - اللبنانى - بيروت).

(٣) راجع .. جميع المصادر السابقة ..

جهوده فى التفسير ...

لقد كان الإمام الطبرى - رحمه الله - واسع المعرفة بعلم التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك من علوم الدين .. لكن جهوده فى التفسير غلبت على سائر معارفه وظهر أثرها واضحاً فى تفسيره المسمى « جامع البيان فى تفسير القرآن »

وهو سفر عظيم أجمع الباحثون فى الشرق والغرب على عظيم قيمته ونفعه. واتفقت الروايات على أنه لم يؤلف فى التفسير كتاب مثله. حيث جمع بين الرواية والدراية وتوجيه الأقوال وتصويبها وترجيح بعض الأقوال على بعض ترجيحياً يعتمد على النظر العقلى والبحث الحر الدقيق الذى يستند إلى كلام الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - وكلام العرب نظماً ونثراً وما حواه من الإستنباط وتوجيه القراءات وغير ذلك من الفوائد (١)

ويقع فى ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير .. ومن العجيب أن هذا التفسير كان إلى عهد قريب من الكتب المفقودة يقرأ له العلماء بعض الفقرات من تفسيره فى مصنفات نقلت عنه ولكنهم لا يعرفون له مكاناً إلى أن قدر الله له الوجود والظهور. إذا وجدت فى حيازة أمير حائل (الأمير حمود بن الأمير عبد الرشيد) من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة عن هذا الكتاب. فطبع عليها الكتاب فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية فى التفسير المأثور فسعد العالم الإسلامى بهذا التفسير النفيس. وطبع بعد ذلك مراراً وصار متداولاً بين أيدى العلماء وانتفع به علماء الشرق والغرب على حد سواء (٢)

---

(١) راجع .. من أعلام المفسرين .. للدكتور عثمان السيد عثمان ص ٤٣٠ .

(٢) راجع .. التفسير والمفسرون .. للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ٢٠٧ .
ونشأة التفسير ومناهجه .. للأستاذ الدكتور محمود بسيونى فوده ص ١٦٤ .

موقف العلماء من هذا التفسير ...

أجمع العلماء على أهميته لكونه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط لكل هذه الأمور اعتبره العلماء أجل كتب التفسير بالمأثور حتى تفوق على كتب الأقدمين . وينظر أيضاً إلى هذا التفسير بعين ناقدة أخرى فهو أقدم كتب التفسير التي وصلت إلينا.. وأيضاً بما تفرد به صاحبه من طريقة بديعة حتى خرج للناس وهو على هذه الدرجة من القيمة العلمية والتفرد.

قال عنه شيخ الإسلام .. ابن تيمية .. رحمه الله ..

وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً .. [١]

وقال عنه .. أيضاً .. حينما سئل عن أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشرى أم القرطبى أم البغوى أم غير هؤلاء .. فقال . الحمد لله أما التفاسير التى فى أيدى الناس فأصحها تفسير « محمد بن جرير الطبرى » فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن كبير والكلبى [٢]

وقال عنه .. الحافظ ابن كثير رحمه الله ..

وله التفسير الكامل الذى لا يوجد له نظير [٣]

---

(١) راجع .. مقدمة فى أصول التفسير .. لإبن تيمية ص ٩٠ ط دار القرآن الكريم – تحقيق الدكتور عدنان زرزور.

(٢) راجع .. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ١٣ ص ٣٨٥ ط مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية.

(٣) راجع .. البداية والنهاية .. لإبن كثير جـ ١١ ص ١٤٥.

وقال عنه .. أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الإسفراييني شيخ الشافعية

لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً[١]

ويعلق السيوطى رحمه الله على ذلك فى الطبقات بقوله ..

قد مَنَّ الله علىَّ باءامة مطالعته والاستفادة منه وأرجو أن أصرف الغاية إلى اختصاره وتهذيبه ليسهل على كل أحد تناوله إن شاء الله تعالى [٢]

وهذه الأمنية التى حدثنا عنها جلال الدين السيوطى .. لا نعلم أحققها الله له فقام باختصار هذا الكتاب العظيم أم لا .. [٣]

وقال عنه أيضاً عند حديثه عن طبقات المفسرين . فإن قلت. فأى التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه؟، قلت تفسير الامام أبى جعفر بن جرير الطبرى الذى أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله [٤]

وقال عنه الإمام النووى رحمه الله ..

كتاب ابن جرير فى التفسير لم يؤلف أحد مثله .. [٥]

ويذكر صاحب لسان الميزان .. أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير

---

(١) راجع .. طبقات المفسرين .. للسيوطى .. ص ٨٣ .

(٢) راجع .. نفس المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) راجع .. نشأة التفسير ومناهجه ص ١١٥ .

(٤) راجع .. الإتقان فى علوم القرآن ... للسيوطى جـ ٢ ص ٢٤٤ ط دار عالم المعرفة.

(٥) راجع .. نفس المرجع السابق . جـ ٢ ص ٢٤٤ .

من ابن خالويه فرده بعد سنين ثم قال نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض من ابن جرير فابن خزيمة رحمه الله - ما شهد هذه الشهادة إلا بعد أن اطلع على ما فى هذا التفسير من علم واسع غزير [1]

سبب تأليفه ...

ذكر المؤرخون: أنه حدث نفسه بهذا التفسير واستخار الله فى عمله وسأله العون على ما نواه ثلاث سنين قبل أن يعمله .. فأعانه سبحانه ثم لما أراد أن يملى تفسيره قال لأصحابه ...

(أتنشطون لتفسير القرآن)

قالوا : وكم يكون قدره ؟

فقال : ثلاثون ألف ورقة.

فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه.

فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة.. [2]

ويعقب فضيلة الأستاذ الدكتور .. منيع عبد الحليم محمود .. على ذلك بقوله ..

والناظر فى هذا التفسير يلمح ما بذله ابن جرير من جهد كبير فى إتمامه - لقد اعتنى فيه بجمع الآثار . وتحقيق الأخبار ومدلولات اللغة وأحكام الشرع وأبدى رأيه مرجحاً وموضحاً وفاتحاً المجال للإجتهاد والإختيار.. [3]

---

(١) راجع .. التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢، ٣) راجع .. مناهج المفسرين .. لفضيلة الأستاذ الدكتور.. منيع عبد الحليم محمود ص ٤١ - ٤٢.

مزايا تفسيره ...

١- أن الإمام الطبرى رحمه الله .. له الأولية فى تفسيره أولية زمنية. لأنه أقدم كتاب فى التفسير وصل إلينا وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن.. وأولية من ناحية الفن والصناعة. فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التى سلكها فيه مؤلفه حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته [١]

٢- أن الإمام الطبرى .. حرر الأسانيد وقرب البعيد وجمع ما لم يجمعه غيره. [٢]

٣- أن الإمام الطبرى .. جعل تفسيره يقوم على طريقة محورها الأثر المفسر للآية من جهة ثم الأثر المؤيد للقول أو الأقوال التى قيلت فى تأويلها وفى بيان المعنى المراد من جهة أخرى. [٣]

٤- أن الإمام الطبرى .. يعتمد فى استنباط المعنى على الإستعمالات اللغوية للألفاظ ببيان المعنى الأصلى للفظ والمعني المنقول اليه. والعلاقة بين المعنيين والإستشهاد بالشعر العربى على ما يثبت استعمال اللفظ فى المعني الذى حمله عليه [٤]

---

(١) راجع .. التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) راجع .. مناهل العرفان فى علوم القرآن .. لفضيلة الشيخ .. محمد عبد العظيم الزرقانى جـ ١ ص ٤٩٧ .

ط دار إحياء الكتب العربية .. الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

(٣) راجع .. التفسير المأثور . عن عمر بن الخطاب .. لإبراهيم بن حسن ص ٨ ط الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

(٤) راجع - دراسات حول القرآن .. للدكتور إسماعيل أحمد الطعان ص ١٨٦ ط مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥- أن الإمام الطبرى .. يرفض من آراء المفسرين ما يعتمد فيه المفسر على رأيه دون الرجوع إلى المأثور فى مثله. ويخطئه لمخالفته أهل العلم من الصحابة والتابعين [١]

٦- أن هذا التفسير .. قام به إمام جليل ومجتهد مطلق ومؤلف متبحر .. استحق عن جدارة بأن يقول فيه العلماء .. أنه أبو التفسير .. وبأن يجمعوا على الإشادة به وبعمله التفسيرى الذى أصبح مرجعاً وسنداً لكل من جاء بعده [٢]

المآخذ التى وردت على تفسيره ...

١- أن الإمام الطبرى - رحمه الله - يكثر من الإسرائيليات فى تفسير آيات القصص. وغالباً ما يذكر سنده فى النقل. وقد يعقب على بعض الروايات بالنقد وقد يتساهل فى بعضها ولعله يرى فى ذكر السند مع كل رواية يرويها ما يبرئ ذمته. ويلقى بالتبعة على المنقول عنه. [٣]

٢- أن الإمام الطبرى - رحمه الله - أورد فى تفسيره - بعض الروايات المتناقضة عن ابن عباس رضى الله عنهما ولم يرجح رواية على أخرى ولم يتعرض لبيان من ذلك [٤]

٣- أن الإمام الطبرى - رحمه الله - نراه ينتقد أحياناً بعض القراءات

---

(١) راجع .. دراسات حول القرآن .. للدكتور إسماعيل الطحان ص ١٦٩ .

(٢) راجع .. التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب. لإبراهيم بن حسن ص ٨ .

(٣) راجع .. دراسات حول القرآن .. للدكتور إسماعيل الطحان ص ١٦٩.

(٤) راجع .. الإمام الطبرى «شيخ المفسرين» للدكتور محمد الزحيلى ص ١٣٩ ط دار العلم بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

الصحيحة فيرجح بعضها على بعض ويضعف البعض الآخر. وهذا مما يؤخذ عليه فالقراءات منقولة بالتواتر وهى سنة متبعة. (١)

فهذه بعض المآخذ التى وردت فى تفسيره.. والطبرى رحمه الله تعالى ليس معصوماً وكل إنسان يؤخذ من قوله ويُردُ عليه. إلا صاحب النبوة – ﷺ – كما قال الامام مالك – رحمه الله – وكتاب الطبرى الذى بلغ ستة آلاف صفحة ليس غريباً أن ترد عليه المأخذ وأن تصدر منه أخطاء والرسول – ﷺ – يقـــول « كل ابن آدم خطاء » (٢) ولكنها أخطاء محدودة ومآخذ معدودة لا تتجاوز عدد الأصابع وينطبق عليه المثل فى قول الشاعر .. « كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه » ويكفيه شهادة إمام اللغة غلام ثعلب. أنه قرأ جميع التفسير ولم يجد فيه خطأ فى اللغة والنحو وهذه الأخطاء – والحمد لله – ليست فى العقيدة. ولا فى أصول الدين. ولا فى أركان الاسلام. ولا فى قواعد الدين . ولا فى الأحكام القطعية. ولا فى النصوص الثابتة ولا فى معاقد الاجماع. ويمكن للطبرى رحمه الله أو لغيره أن يعتذر عن هذه المسالب البسيطة. أو يَرُدُّ عليها ويناقش فيها. وهى فى جملتها لا تظهر للعيان ولا تقف أمام عمله الجبار وجهده المبارك وثوابه الكبير ومكانته المرموقة (٣)

---

(١) راجع .. مراقى الإيمان فى علوم القرآن .. للدكتور على محمد نصر ص ٢١٨ ط الأمانة – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه جـ ٤ ص ٦٥٩ رقم ٢٤٩٩.

راجع الجامع الصحيح .. للترمذى ط دار الحديث – القاهرة.

(٣) راجع .. الإمام الطبري «شيخ المفسرين » للدكتور محمد الزحيلى ص ١٣٩ . والتفسير ومناهج المفسرين .. للدكتور وليد مساعد الطيطانى ص ١٢٠ ط التجديد – الكويت . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

منهجه فى التفسير :

لقد كان للإمام الطبرى – رحمه الله – منهج خاص فى عرض مادته العلمية وأهدافه المحدودة التى يتحرك فى اطارها وقد غلبت على التفسير إلى عهده – وبعد عهده أيضاً – نزعتان واضحتان متميزتان الأولى عرفت بنزعة التفسير بالمأثور والثانية نزعة التفسير بالرأى وقد حدد الامام الطبرى – موقفه منذ البداية من هذين الإتجاهين واختار بوعى وبإصرار أن يكون ممثلاً لاتجاه التفسير بالمأثور...

ومعنى التفسير بالمأثور..

فى اللغة .. اسم مفعول من أثرت الحديث أثراً من باب قتل نقلته والأثر بفتحتين إسم منه والحديث المأثور هو المنقول (وأثر) الحديث ذكره عن غيره فهو (أثر) بالمد وبابه نصر ومنه حديث مأثور أى ينقله خلف عن سلف. (والأثر) بفتحتين ما بقى من رسم الشئ وضربة السيف وسنن النبى – ﷺ – (آثاره) [1]

وفى الإصطلاح ...

هو ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول – ﷺ – وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.. [2]

---

(١) راجع .. مختار الصحاح .. للإمام محمد بن أبى بكر الرازى ص ٥ ط دار التراث العربى.

(٢) راجع .. التفسير والمفسرون جـ١ ص ١٥٢ .

مراحل التفسير بالمأثور ...

لقد مر التفسير بالمأثور بمرحلتين ..

الأولى : المرحلة الشفهية ... وتسمى المرحلة الرواية وفى هذه المرحلة كان الصحابى ينقله عن رسول الله - ﷺ - وينقله الصحابى عن الصحابى والتابعى عن الصحابى نقلاً أميناً دقيقاً واعياً بالإسناد حتى كانت المرحلة الثانية.

الثانية : مرحلة التدوين ... وفيها سجل ما صح نقله من التفسير بالمأثور خلال المرحلة الأولى وكان ذلك يوجد فى كتب الحديث أول الأمر حتي أصبح علماً قائماً بنفسه .... وكتبت فى التفسير كتب مستقلة روت التفسير بالمأثور. مروياً بالإسناد إلى رسول الله - ﷺ - وإلى الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ولم يكن فى هذه الكتب شئ من التفسير بالمأثور اللهم إلا ابن جرير الطبرى. فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها ورجح بعضها على بعض وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة واستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية. (١)

إذا فهذا اللون من التفسير عبارة عن إعتماد المفسر على الزوايات الموثوق بها والمتصلة حلقاتها بصحابة الرسول - ﷺ - وتابعيهم. أولئك الذين استقوا من صاحب الرسالة عليه السلام روح فهمهم للنص القرآنى أو سمعوا منه تفسيره مباشرة. فكل تفسير من هذا النوع. اتصلت به سلسلة من الرواة الثقات فهو التفسير الذى ينبغى الأخذ به والتسليم بصحته.

---

(١) راجع .. البداية فى التفسير الموضوعى .. لفضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الحى حسين الفرماوى ص٢٥-٢٦ ط مكتبة جمهورية مصر - الطبعة الثانية - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

يقول الإمام الطبرى رحمه الله ...

إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه - ﷺ - ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول - ﷺ -. وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره وواجبه وندبه وإرشاده. وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده . ومبالغ فرائضه. ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آية التى لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله - ﷺ - لأمته وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله - ﷺ - بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله. (١)

ففى المرتبة الأولى من التفسير يأتى بيان الرسول عليه السلام لكل ما ورد من أوامر وتكاليف وحقوق وحدود وفرائض وأحكام. ويلى هذا التفسير الذى يقول به دالة الأمة ويعنى بهم هنا أمة الصحابة وتابعيهم معتمدين فيه على أدلة قد استلهموها من سنة الرسول - ﷺ - وهنا يظهر مذهب جديد يشترطه الطبرى للأخذ عن هؤلاء وهو مبدأ الاجماع، وهو مبدأ يراد به توفير أقصى حد من الثقة فيما نقلته الرواية عنهم حتى يمكن القطع بصحة ما ورد عنهم من تفسير..

وإلى جانب ذلك يتطلب الطبرى لإجماع الأمة فى التفسير أيضاً أعلى مراتب الحجية وفى هذا المعني يرتب من آية أخرى وجوه التفسير المروية عن دائرة الثقات المعتد بهم فحسب منسقة بعضها إلى جانب بعض حسب اختلاف الإسناد الذى رواها عن طريقه. (٢)

---

(١) راجع .. جامع البيان فى تفسير القرآن .. للإمام الطبرى (المقدمة) جـ١ ص ٢٥-٢٦ ط دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامى .. لجولد تسيهر ص ١٠٩ - ١١٠.

والحق إن الامام الطبرى ..

كان مؤمناً بأن فى القرآن الكريم آيات لا يمكن إدراكها إلا بما قدم الرسول - ﷺ - من بيان لها فإذا ورد عن الرسول - ﷺ - بيان فى آية من الآيات فليس لأحد بعد ذلك أن يجتهد فيها برأى من عنده وهو يقول ....

أن ما كان من تأويل أى القرآن الذى لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله - ﷺ - أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه. بل القائل فى ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فمخطئ فيما كان من فعله. بقيله فيه برأيه. لأن أصابته ليست اصابة موقن أنه محق وإنما هو اصابة خارص وظان والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال ...

﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (١)

فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه. إلا ببيان رسول الله - ﷺ - الذى جعل الله إليه بيانه. قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به.(٢)

وهذا الموقف ينعكس بصورة مطردة فى ثنايا تفسير الطبرى .. فهو فى كل موضع تتجاوز فيه الآراء الاجتهادية حدود ما هو معلوم ببيان عن

---

(١) الآية (٣٣) من سورة الأعراف.

(٢) راجع .. جامع البيان للطبرى (المقدمة) جـ ١ ص ٢٧ .

الرسول – ﷺ – يقف موقف الرافض لهذه الآراء من حيث أنها لا تقدم ولا تؤخر أى ليست بذات فائدة ومن ثم فلا ضرورة لها ..

فهو مثلاً .. حين يعرض لتفسير قوله تعالى :

﴿ وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ [1] يقول رحمه الله ..

إختلف أهل التأويل فى صفة الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم نبيه .. وخليله صلوات الله عليه.

ثم يورد هذه الأقاويل جميعاً فيقول :

فقال بعضهم هى شرائع الاسلام وهى ثلاثون سهما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ﴿ وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ﴾ قال قال ابن عباس لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ابتلاه الله بكلمات فأتمهن قال فكتب الله له البراءة. فقال وإبراهيم الذى وفى قال عشر منها فى الأحزاب وعشر منها فى براءة وعشر منها فى المؤمنين وسأل سائل وقال ان هذا الاسلام ثلاثون سهما حدثنا اسحاق بن شاهين قال ثنا خالد الطحان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ابتلى أحد بهذا الدين فقام به كله غير ابراهيم ابتلى بالإسلام فاتمه فكتب الله له البراءة فقال وإبراهيم الذى وفى فذكر عشرا فى براءة فقال ﴿ التائبون العابدون الحامدون ﴾ إلى آخر الآيات وعشرا فى الأحزاب ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ وعشرا فى سورة المؤمنين الى قوله

---

(١) الآية رقم (١٢٤) من سورة البقرة.

﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ وعشرا فى سأل سائل ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ حدثنا عبيد الله بن أحمد شبرمة قال ثنا على بن الحسن قال ثنا خارجة بن مصعب عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الإسلام ثلاثون سهما وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم قال الله وإبراهيم الذى وفى فكتب الله له براءة من النار. وقال آخرون هى خصال عشر من سنن الإسلام ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرازق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال ابتلاه الله بالطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد فى الرأس قص الشارب والمضمضة والإستنشاق والسواك وفرق الرأس وفى الجسد تقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء. حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرازق عن معمر عن الحكم بن أبان عن القاسم بن أبى بزة عن ابن عباس بمثله ولم يذكر أثر البول حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله ﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال ابتلاه بالختان وحلق العانة وغسل القبل والدبر والسواك وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط قال أبو هلال ونسيت خصلة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن مطر عن أبى الخلد قال ابتلى إبراهيم بعشرة أشياء هن فى الانسان سنة الإستنشاق وقص الشارب والسواك ونتف الإبط وقلم الأظافر وغسل البراجم والختان وحلق العانة وغسل الدبر والفرج وقال بعضهم بل الكلمات التى ابتلى بهن عشر خلال بعضهن فى تطهير الجسد وبعضهن فى مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن

أبى هبيرة عن حنش عن ابن عباس فى قوله ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ قال ستة فى الإنسان وأربعة فى المشاعر فالتى فى الإنسان حلق العانة والختان ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب والغسل يوم الجمعة وأربعة فى المشاعر الطواف والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار والإفاضة وقال آخرون بل ذلك ﴿ إنى جاعلك للناس إماما ﴾ فى مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن إدريس قال سمعت إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ فمنهن أنى جاعلك للناس اماما وآيات النسك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن إدريس قال سمعت إسماعيل من أبى خالد عن أبى صالح مولى أم هانئ فى قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال منهن أنى جاعلك للناس إماما ومنهن آيات النسك ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ حدثنا محمد بن عمرو وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهدتى ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ قال الله لإبراهيم أنى مبتليك بأمر فهو قال تجعلنى للناس إماما قال نعم قال ومن ذريتى قال ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ قال تجعل البيت مثابة للناس قال نعم وأمنا قال نعم قال ﴿ وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ قال نعم ﴿ وترينا مناسكنا وتوب علينا ﴾ قال نعم قال وتجعل ﴿ هذا البلد آمنا ﴾ قال نعم قال ﴿ وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم ﴾ قال نعم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح أخبره به عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج فاجتمع على هذا القول مجاهد

وعكرمة جميعا حدثنا سفيان قال حدثني أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ﴾ قال ابتلى بالآيات التي بعدها ﴿ إني جاعلك للناس اماما ﴾ قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن ابي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ﴿ وإذا إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن ﴾ فالكلمات ﴿ أني جاعلك للناس اماما ﴾ وقوله ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾ وقوله ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وقوله ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ الآية وقوله ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ الآية قال فذلك كلمة من الكلمات التي إبتلى بهن إبراهيم حدثني محمد ابن سعيد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن فمنهن أني جاعلك للناس اماما ومنهن ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ ومنهن الآيات في شأن النسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد - ﷺ - في ذريتهما عليهما السلام وقال آخرون بل ذلك مناسك الحج خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وقال ثنا سلم بن قتيبة قال ثنا عمرو بن نبهان عن قتادة عن ابن عباس في قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال مناسك الحج حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول في قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال المناسك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرازق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس ابتلاه بالمناسك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن ابي جعفر عن أبيه قال بلغنا عن ابن عباس أنه قال أن الكلمات التي ابتلى بها ابراهيم المناسك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن ابي

اسحق عن التميمي عن ابن عباس قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال مناسك الحج حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال منهن مناسك الحج وقال آخرون هي أمور منهن الختان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سلم بن قتيبة عن يونس ابن أبي اسحق عن الشعبي ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال منهن الختان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال سمعت الشعبي يقول فذكر مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا يونس بن أبي اسحق سمعت الشعبي وسأله أبو اسحق عن قول الله ﴿ واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ﴾ قال منهن الختان يا أبا اسحق وقال آخرون بل ذلك الخلال الست الكوكب والقمر والشمس والنار والهجر والختان التي ابتلى بهن فصبر عليهن ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال قلت للحسن ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن ﴾ قال ابتلاه بالكواكب فرضي عنه وابتلاه بالقمر فرضي عنه وابتلاه بالشمس فرضي عنه وابتلاه بالنار فرضي عنه وابتلاه بالهجرة وابتلاه بالختان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول أي والله ابتلاه بأمر فصبر عليه ابتلاه بالكواكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما كان من المشركين ثم إبتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا إلى الله ثم إبتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك فابتلاه الله بذبح ابنه وبالختان فصبر على ذلك حدثنا الحسن بن يحى قال أخبرنا عبد الرازق قال أخبرنا معمر عمن سمع الحسن يقول في قوله ﴿ وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ قال إبتلاه الله بذبح ولده وبالنار وبالكواكب والشمس والقمر حدثنا ابن بشار قال ثنا سلم بن

قتيبة قال ثنا أبو هلال عن الحسن ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات﴾ قال ابتلاه بالكواكب وبالشمس والقمر فوجده صابرا وقال آخرون بما حدثنا به موسى بن هارون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى الكلمات التى إبتلى بهن إبراهيم ربه ﴿ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾. والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال أن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل الكلمات.

ثم يعقب الامام الطبرى رحمه الله على هذه الأقوال .. بقوله ..

وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل الكلمات. وجائز أن يكون بعضه لإبن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن - فيما بلغنا - بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عنى الله بالكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شئ. ولا عني به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول - ﷺ - أو إجماع من الحجة. ولم يصح فى شئ من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته. [1] ومن ثم فإنه لا يرى مسوغاً لكل هذا العناء الذى لا طائل وراءه.

---

(١) راجع ... جامع البيان ... للطبرى جـ ١ ص ٤١٤ - ٤١٧ .

وخلاصة هذا الموقف بكل إيجاز هو .. أن ماورد من بيان عن الرسول عليه السلام وأجمع الثقات من أهل العلم على إيراده فهو الرأى الصحيح الملزم. أما ما كان خارجاً على قول الجماعة فلا يعتد به ولا يستأهل حتى الإشتغال ببيان خطئه وفساده.

هذا هو المنطلق العام فى تفسيره جامع البيان ،...

ولكن يبقى أمران .. **أولهما** .. أن فى القرآن الكريم آيات لم يرد فيها بيان عن الرسول - ﷺ - لأن الله عز وجل استأثر بتأويلها فلم يلق به إلى أحد حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وقد نص القرآن على هذه المواضع.

ثانيهما .. أن من القرآن ما يستطيع أن يفهمه كل ذى علم باللسان الأمر الذى نزل به القرآن من إقامة للإعراب ومعرفة أسماء المسميات والصفات الخاصة بكل منها فإذا سمع شخصاً يتلو قوله عز وجل :

﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [1] - لم يجهل - كما يقول الإمام الطبرى - رحمه الله فى مقدمته - أن معنى الإفساد .. هو ما ينبغى تركه مما هو مضرّة.

وأن الإصلاح .. هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعة .. وأن جهل المعانى التى جعلها الله إفساداً والمعانى التى جعلها الله إصلاحاً فالذى يعلمه ذو اللسان الذى بلسانه نزل القرآن من تأويل القرآن هو ما وصفت من معرفة

---

(١) الآيتان رقم (١١ ، ١٢) من سورة البقرة .

المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها. والموصوفات بصفاتها الخاصة. دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التى خص الله بعلمها نبيه محمد – ﷺ –. فلا يدرك علمه إلا ببيانه . دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه. (١)

وإذن فهناك أشياء استأثر الله عز وجل بعلمها وقد ورد النص عليها فى القرآن الكريم نفسه ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ... ﴾ (٢)

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ... ﴾ (٣)

قال الطبرى رحمه الله ...

وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ فى الصور ونزول عيسى بن مريم. وما أشبه ذلك فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه وكذلك أنزل ربنا فى محكم كتابه فقال :

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٤)

---

(١) راجع .. جامع البيان .. للطبرى جـ ١ ص ٣٦ .

(٢) الآية (٦٣) من سورة الأحزاب .

(٣) الآية (٨٥) من سورة الإسراء.

(٤) الآية (١٨٧) من سورة الأعراف .